

Interpretative Perspectives on the Content of Selected Verses of Al-I'tisam: A Critical Analytical Study

آراء المفسرين في مضامين بعض آيات الاعتصام -دراسة تحليلية-

Shahla' Subeih Nassif ^{1,*}

¹ Al-Karkh Study Center, Abu Ghraib Branch, Open College of Education, Open College of Education, Baghdad, Iraq.

د. شهلاء صبيح نصيف ^{١*}

^١ مركز الكرخ الدراسي، فرع ابي غريب، الكلية التربوية المفتوحة، الكلية التربوية المفتوحة، بغداد، العراق.

Abstract

In this study, I address several features of divine guidance by exploring the majesty of the Qur'an as manifested through the concept of al-i'tisām (holding fast to God's path). This analysis draws upon rhetorical, grammatical, exegetical, and theological dimensions that reveal the greatness of this divine Book—one which, regrettably, many Muslims today are unfamiliar with even in terms of proper recitation, let alone understanding its profound meanings and the verses that testify to the perfection of the Creator's design.

The term al-i'tisām carries serious implications that warrant close attention, as understanding its true meaning is crucial for aligning one's beliefs, speech, and actions with what is lawful in Islam. The concept of holding fast to God is not only significant, but essential, which led me to select the title of this study: "Exegetes' Views on the Themes of Selected Verses on Holding Fast: An Analytical Study."

This research aims to shed light on key lessons derived from the Qur'an as the primary source, while supporting insights are drawn from the Sunnah. In pursuit of this goal, the study seeks to answer the following questions: What are the reasons behind holding fast? How did some of the prophets (peace be upon them) exemplify i'tisām? What does i'tisām look like among the general public? And what are the selected images and models of i'tisām that provide guidance for Muslims today.

الخلاصة

اتناول بهذا البحث بعضاً من معالم الهداية، من خلال الوقوف على عظمة القرآن من خلال ما ورد في هذا المضمار (الاعتصام)، من نواحي بلاغية ونحوية وتفسيرية وعقائدية، التي تجلي لنا عظمة هذا الكتاب الذي يجهل الكثير من المسلمين اليوم النطق به على الوجه الصحيح، فضلاً عن معرفة ما فيه من الآيات التي تدل على كمال صنع الخالق العظيم. إن مصطلح (الاعتصام) تتبني عليه أحكاماً خطيرة ينبغي الوقوف عليها، وبيان مراد الشرع منها، ليكون المسلم على حذر مما يوقعه في ما حرم الله تعالى من جهة القول والاعتقاد والعمل، وإن مسألة الاعتصام مسألة مهمة، ومن هنا جاء اختيار عنوان بحثي الموسوم بـ (آراء المفسرين في مضامين بعض آيات الاعتصام -دراسة تحليلية-). ليجلي بعض هذه الدروس متخذاً القرآن الكريم أصلاً وباقي مصادر السنة مكملاً؟ ولتحقيق ذلك سنجيب على الأسئلة التالية: ما اسباب الاعتصام، اعتصام بعضاً من الأنبياء (عليهم السلام)، وما اعتصام عامة الناس، وما هي الصور والنماذج المختارة من الاعتصام.

Keywords

الكلمات المفتاحية

الاعتصام بالله، التفسير الموضوعي، الهداية في القرآن، بلاغة القرآن.

Al-I'tisām (Holding Fast to God), Qur'anic Exegesis, Divine Guidance, Qur'anic Rhetoric

Received

استلام البحث

15/03/2025

Accepted

قبول النشر

09/5/2025

Published online

النشر الالكتروني

10/06/2025

١. مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن العظيم عبرة لمن تدبر، وتُصلي ونسلم على من أنذر وبشر سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين .

اما بعد :

مما لا ريب فيه ان الاعتصام بالله هو سبيل نجاة العبد و اخره ، فقد قال الامام ابن القيم (رحمه الله : و اما الاعتصام به فهو التوكل عليه و الامتناع به و الاحتماء به و سؤاله ان يحمي العبد و يمنعه و يعصمه و يدفع عنه فإن ثمره الاعتصام به : هو الدفع عن العبد الله يدفع عن الذين آمنوا فيدفع عن عبده المؤمن اذا اعتصم به الشبهات و الشهوات و كيد عدوه الظاهر و الباطن و شر نفسه ^(١))

و الحقيقة التي نغفل عنها ان هذه الدنيا دار ابتلاء و امتحان و لذلك نجد ان الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) هم صفوة الخلق قد ابتلوا فيها و العاقل لا يغتر بنعيمها ، و يفوض اموره كلها الى الله جلا و علا ، فالله سبحانه و تعالى هو الواحد الاحد الذي بيده مقاليد السماوات و الأرض فهو وحده سبحانه قادر على رفع البلاء و قادر على دفع الضر .

١.١ أهمية البحث:

ان الاعتصام من المواضيع المهمة التي شغلت الكثيرين المهتمين بالدراسات القرآنية والتربوية حيث ان الاعتصام يعتبر من العوارض البشرية التي تطرأ على الإنسان فيغيب عن ذهنه بعض الحوادث والمعلومات دون فعل منه وإرادة، وهذا من العلامات التي تؤكد الضعف البشري والعجز الإنساني وقد يكون الاعتصام في بعض الأحيان رحمة ونعمة؛ فقد ورد في القرآن الكريم لفظ (الاعتصام) في مواضع عديدة، تارة يكون فيها موضع التمسك وتارة يكون فيها موضع الحبل فيحملون تلك الألفاظ المتكررة في مواطن عدة على معنى واحد وآيات الاعتصام في القرآن الكريم شأنها شأن آيات الذكر الحكيم التي تبين قدرته (عز وجل) على كل شيء في هذا الكون العجيب الواسع. واننا لنقرأ في آيات الاعتصام في القرآن الكريم فيبين لنا ان لفظة (الاعتصام) وردت سواء بصيغة الفعل او المصدر في القرآن الكريم لفظ تدل على عظيم قدرة الله في خلقه لذلك اخترتها موضوع بحثي الذي وسمته ب(آراء المفسرين في مضامين آيات الاعتصام دراسة تحليلية)

٢.١ أهداف البحث

- ١- موقف المسلم من الاعتصام .
- ٢- كيف عالج القرآن الكريم الاعتصام .
- ٣- أسباب و طرق معالجة الاعتصام من خلال القرآن الكريم و السنة النبوية الصحيحة .

٣.١ مشكلة البحث

تركزت مشكلة البحث عن طرق وأسباب الاعتصام وكيفية معالجتها ضمن محاور التفسير الموضوعي في القرآن الكريم وكيفية الوقوف على ابرز اسبابها وطرق معالجتها وما يحمله موضوع الاعتصام من الفوائد الجمة والقيم الإسلامية العظيمة ما لا يقل أهمية عن غيره من المواضيع التي تنتج إليها الأنظار ويكثر منها الاستحضار حال الحديث موضوع الاعتصام، فان أي القرآن الكريم كلها تحمل في طياتها دروسا وقيم ومبادئ، ومن هنا جاء اختيار بحثي الموسوم ب:(آراءالمفسرين في مضامين آيات الاعتصام دراسة تحليلية) ليجلي بعض الدروس متخذاً القرآن الكريم أصلاً وباقي مصادر التفسير مكملاً وكيف يمكننا الاستفادة من لفظة (الاعتصام) التي وردت في القرآن الكريم في مواضيع عديدة و لتحقيق ذلك نستجيب على الأسئلة التالية: ما اسباب الاعتصام، اعتصام بعضا من الأنبياء (عليهم السلام)، وما اعتصام عامة الناس، وما هي الصور والنماذج المختارة من الاعتصام فإن أي القرآن اختيار بحثي الموسوم

٤.١ الدراسات السابقة

من خلال بحثي المؤلفات السابقة في ذات الموضوع، لا بد ان اعرج على الجهود العلمية والدراسات التي في موضوع بالاعتصام فمن تلك الجهود والدراسات التي درسها الباحثون في موضوع الاعتصام جهود الأستاذ الدكتور وهبة مصطفى الزحيلي و جهود ابن منظور عبدالله علي الكبير و محمد احمد حسب و جهود الأستاذ الدكتور احمد مختار عمر وغيرهم كثيرون مما كان لهم باع طويل في هذا المجال .

٥.١ منهج البحث

(١) من خلال عنوان البحث يتبين لنا ان المصدر الأساسي الاول لهذا البحث هو القرآن الكريم، لهذا كثر الاستشهاد بآية، بل والتبويب بها تحت كل مطلب.

(٢) ليس من شرط البحث استقصاء جميع الآيات المشتملة على الاعتصام، لأننا عليها كلها تفسيراً واستنباطاً، ولكن استعنت ببعض الآيات التي توصل الى الهدف.

(٣) اجتهدت في اختيار الآيات الدالة مباشرة او قريبة على الاعتصام.

(١) مدارك السالكين، ابن القيم - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية دار الكتاب العربي سنة النشر: ١٤١٦ / ١٩٩٦ م، ٤٦٢.

(٤) حرصت على عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها، والأحاديث النبوية والآثار إلى مصادرها.

(٥) وثقت النصوص توثيقاً علمياً دقيقاً.

(٦) اعتنيت بقواعد اللغة العربية، وعلامات الترقيم، كما هو منصوص عليه في الدليل الأكاديمي.

٦.١ هيكلية البحث

جاء البحث على مبحثين تسبقهما مقدمة تناولت فيها مشكلة البحث وأهداف البحث، وأهمية البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وهيكلية البحث أما المبحث الأول: فقد جاء بعنوان تعريف الاعتصام لغة واصطلاحاً وبيان ثمرات الاعتصام بحبل الله وإنها سبيل لوحدة الأمة، وفيه ثلاث مطالب: المطلب الأول: يتضمن مفهوم الاعتصام عند أهل اللغة والاصلاح، والمطلب الثاني: الاعتصام بحبل الله سبيل لوحدة الأمة، والمطلب الثالث: ثمرات الاعتصام بحبل الله تعالى، وولايات الفرقة والاختلاف واما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان الاعتصام بكتاب الله تعالى وبيان هدايته للناس وفيه مطلبين: الاعتصام بالمطلب الأول: الاعتصام بكتاب الله تعالى، والمطلب الثاني: هداية الله للمعتصم ثم الخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات توصل إليها البحث ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها الباحثة في بحثها وهذا ما وفقني الله إليه وما كان من صواب فمن الله وما كان من تقصير فمن نفسي والشيطان، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للاعتصام، وبيان الاعتصام بحبل الله سبيل لوحدة الأمة، وفيه ثلاث مطالب.

٢. تمهيد

ان وحدة الأمة الإسلامية تكمن في اعتصامها فإن هذا الاعتصام اصل أصيل في شريعتنا الإسلامية، تضافرت عليه الأدلة الشرعية والحجج العقلية. ولنا في قصة يونس عليه السلام الذي ابتلعه الحوت في ظلمات البحر خير عبرة وعظة، فحين انقطعت به الآمال، وعدمت وسائل النجاة، لم يجد إلا الاعتصام بحبل الله تعالى منجاة له، ومخرج المأبى، { فَتَدَايَ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ }^(١) فكانت النتيجة { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ }^(٢)

فأخرجه الله تعالى من هذه الأمواج المتلاطمة من الابتلاءات وارجعه إلى قومه ليجتمع به الشمل، وتتوحد به الفرقة، و ينتشر به الإيمان.

١.٢ المطلب الأول: التعريف اللغوي للاعتصام.

(عصم) العين والصاد والميم اصل واحد صحيح يدل على امساك ومنع وملزمة، والمعنى في ذلك معنى واحد. والعصمة: ان يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله تعالى اذا امتنع واستعصم: التجأ، ويقول العرب اعصمت اعصمت فلان أي هياأت شيئاً يعتصم به أي يلتجئ ويتمسك به، وعصمة الطعام: منعه من الجوع^(٣) واعتصم بالله أي: امتنع بلطفه من المعصية^(٤) وعصمة الله عن المكروه، أي منعه وحفظه ووقاه وعصم سمعته^(٥) قال تعالى {وَاللَّهُ يَعَصِيكَ مِنْ النَّاسِ}^(٦)، وعصمه يعصمه عصما: منعه ووقاه^(٧) قال تعالى { لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَمَ }^(٨) ومن خلال التعاريف اللغوية للاعتصام نجد ان بمعنى التمسك والحيل، والمنعة، وكلا ترجع معانيها إلى التمسك بالشئ والانتماء به.

٢.٢ المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للاعتصام.

العصمة: ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن بها^(٩)، والعصمة هي لطف يفعل الله تعالى بالمكلف بحيث تمنع منه المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليها، والاعتصام بالله: هو التمسك بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهد إليكم في كتابه إليكم، من الألفه والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله^(١٠). وكل

(١) سورة الأنبياء الآية: ٨٧.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٨٨.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، أبي الحسن أحمد بن فارس، (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، ٣٣١/٤.

(٤) ينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (ت ٦٦٦هـ)، دار الرسالة الكويت، ٤٣٧.

(٥) ينظر: اللغة العربية المعاصرة الأستاذ الدكتور احمد مختار عمر، ط ١/ القاهرة (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ١٥٠٩/١.

(٦) سورة المائدة الآية: ٦٧.

(٧) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد احمد حسب وهاشم محمد الشاذلي، ط ١، السنة ١٤٤١هـ، دار الصادر.

بيروت، ١٢/ ٤٠٣.

(٨) سورة هود، الآية: ٤٢.

(٩) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، الشيخ عبد الرؤف بن المناوي (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب عبد الخالق ثروت- القاهرة، ط ١ (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)، ٢٤/١.

(١٠) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة ط ١ (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، ٧٠/٧.

هذه التعاريف تصب في مجرى واحد هو التمسك بكتاب الله تعالى وعهده، كما جمعها بن كثير عند قوله تعالى {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ} ^(١) قيل (بحبل الله) أي: بعهد الله، وقيل: بحبل من الله يعني: القرآن وصراطه المستقيم ^(٢) ونجد الإمام الشوكاني: يجمع بالتعريف للاعتصام بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي يقول: الاعتصام بالله التمسك بدينه، وطاعته، وقيل بالقرآن، يقال اعتصم به، واستعصم، وتمسك، واستمسك إذا امتنع به من غيره، وعصمة الطعام: منع الجوع ^(٣)

٣.٢ المطلب الثالث : الاعتصام بحبل الله سبيل لوحدة الأمة

ان نعم الله عظيمة، وأعظم هذه النعم بعد نعمة الإيمان والهداية هي نعمة الأخوة في الله التي جعلت أبناء الأمة الإسلامية تربطهم علاقة متينة راسخة هي علاقة الدين التي هي أقوى من علاقة النسب، وهي العلاقة التي جعلت المسلمين جميعا كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد والحمة رغم اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم يوحدتهم الاعتصام بحبل الله والانضواء تحت راية لا اله الا الله محمد رسول الله. ولقد ذكر الله سبحانه رسوله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه بهذه النعمة العظيمة بعد ان كانوا قبل الإسلام متقاتلين متحاربين لأقل الأسباب فقال: { وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } ^(٤) امرهم الله سبحانه ان يذكروا نعمته عليهم إذ كانوا أعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضا وينهب بعضهم بعضا اصبحوا بسبب هذه النعمة متحابين ^(٥) "فالأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على الجماعة المسلمة الأولى وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده هنا يذكرهم بهذه النعمة، يذكر كيف كانوا في الجاهلية اعداء، وما كان اعدى من الاوس والخزرج في المدينة أحدهما الحيان الغريبان في يثرب، يجاورهما اليهود الذين كانوا يوقدون حول هذه العداوة وينفخون في نارها حتى تأكل روابط الحيين جميعا، ومن ثم نجد يهود مجالها الصالح الذي لا تعمل الا فيه، و لاتعيش الامعة فألف الله بين قلوب الحيين من العرب بالإسلام، وما كان الا الإسلام وحده يجمع بين هذه القلوب المتنافرة وما كان إلا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله اخوانا" ^(٦). وكان جمعهم قبل الإسلام في عداوة وحروب فالأوس والخزرج كانت بينهم حروب دامت مائة وعشرين سنة قبل الهجرة ومنها كان يوم بعاث، ولقد حاولت حكماؤهم .

و اولو الرأي منهم التأليف بينهم، وإصلاح ذات بينهم بأفانين الدعاية من خطابة وجاه وشعر فلم يصلوا إلى ما ابتغوا حتى ألف الله بين قلوبهم بالإسلام فكان الاعتصام بدين الله والاتفاف حول نبيهم سببا في وحدتهم و اخوتهم ^(٧)

ومن الآيات الدالة على عظيم نعمة الله في تأليف قلوب المسلمين ووحدتهم بسبب اعتصامهم بدينهم قوله تعالى { لَوْ أَنفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ } ^(٨)

أي جمعها على الإيمان بك وعلى طاعتك ومناصرتك ومؤازرتك بعد إن كانت بين الانصار حروب طاحنة في الجاهلية فقطع الله ذلك بينهم بنور الإيمان ^(٩) أخرج الإمام البخاري في صحيحه ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خطب الأنصار في شأن غنائم حنين فقال لهم : " يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي " ^(١٠) ان هذه العقيدة عجيبة فعلا ، انها حين تخالط القلوب تستحيل الى مزاج من الحب و

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الغداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣) ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، تحقيق الدكتور عبدالرحمن عميرة ، الطبعة: الاولى ١٤١٤هـ، ٤/٢ .

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٠٣

(٥) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ٣٦٧/١

(٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، ط ٣٤ ، دار الشروق ، القاهرة : ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، الطبعة : السابعة عشر ، ٤٤٢/١

(٧) ينظر : تفسير التحرير و التنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر من عاشور ، (ت ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر - تونس (١٩٨٤م) ، ٤ /

٣٣-٣٤

(٨) سورة الانفال : الآيتان ٦٢ ، ٦٣

(٩) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، أبن كثير ، ٢ / ٣٢٣

(١٠) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه و سلم) و سنته و أيامه ، صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر : دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢ هـ .

الألفة و مودات القلوب فإذا نظرة العين ، و لمسة اليد ، و خفقة القلب ترانيم من التعارف و التعاطف و الولاء و التناظر ، و السماحة و الهوادة ، لا يعرف سرها الا من الف بين هذه القلوب و لا تعرف مذاقها الا هذه القلوب ^(١) .

٤.٢ المطلب الرابع : ثمرات الاعتصام بحبل الله وويلات الفرقة و الاختلاف

الاعتصام بحبل الله وصية الله سبحانه وتعالى لرسوله (صلى الله عليه وسلم) واتباعه الذين آمنوا معه، والذين من عليهم بنعمة الأخوة والهداية وأمنهم بعد طوف ويسر لهم إقامة دولة لهم على ارض المدينة المنورة بعد ان كانوا قلة مستضعفين، والتحذير من الفرقة والاختلاف وصية الله أيضاً لرسوله (صلى الله عليه وسلم) و لأمتة حتى لا يبدوا قوتهم ويضعفوا جمعهم ويصبحوا لقمة سهلة وصيداً ثميناً يتكالب عليهم الاعداء من كل حرب وصوب. فكانت هذه الوصايا الثمينة من الله للمسلمين الاوائل ولأمة الإسلام في محل زمان الى قيام الساعة .

و ويلات الفرقة والاختلاف وأمنهم بعد خوف وصية الله حتى لا يبددوا قوتهم في كل زمان تكتب

أولاً الامتثال لأمر الله :

فاعتصام الأمة بحبل الله والالتفاف حول نبيهم فيه امتثال لأمر الله وسمع وطاعة له والرضا بما ارتضاه ، فالله سبحانه وتعالى لا يأمر الا بخير ولا يحذر إلا من شرحين يقول: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } ^(٢)

أي تعلقوا بأسباب الله جميعاً، وتمسكوا بدينه الذي أمركم به، وعهده الذي عهده. اليكم في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم الأمر الله قد كره الله لكم الفرقة وحذركموها ونهاكم عنها ورضي لكم السمع والطاعة والألفة و الجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضي الله لكم ^(٣). ويكون بذلك قد أطاع الله تعالى وامتثل لأوامره ويأمن من الانزلاق عن طريق الحق، فكان المراد من الحبل هنا كل شيء يمكن التوصل به إلى الحق في طريق الدين ^(٤) .ومن هنا يتبين لنا أن طاعة الله تعالى والامتثال لأمره هي ثمرة من ثمرات الاعتصام بحبل الله

ثانياً : الهداية الى صراط الله تعالى المستقيم

فالهداية إلى الحق ثمرة من ثمرات الاعتصام بحبل الله كما قال سبحانه : { وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ^(٥). فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العدة في الهداية، والعدة في مبادعة الغاية والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد و حصول المراد ^(٦).

ويقول الامام القرطبي : (ومن يعصم بالله أي يتمتع ويتمسك بدينه وطاعته فقد هدي أي وقت وأرشد إلى صراط المستقيم) ^(٧).

ويقول الشوكاني : (أرشدهم إلى الله الاعتصام به ليحصل لهم بذلك الهداية إلى الصراط المستقيم الذي هو الاسلام) ^(٨).

ويقول محمد الطاهر بن عاشور : سياق الآية مؤذن بأنها جرت على حادثة حدثت وان نزولها سبباً ، وسبب نزولها أن الأوس والخزرج كانوا في الجاهلية قد تخاذلوا وتحاربوا حتى تقانوا وكانت بينهم حروب كان آخرها يوم بعث. التي انتهت قبل الهجرة بثلاث سنين ، فلما اجتمعوا على الإسلام زالت تلك الأحقاد من بينهم واصبحوا عدة الإسلام فساء ذلك يهود يثرب ، فقام شاس بن قيس اليهودي وهو شيخ قديم منهم بأرسال شاب يهودي جلس إلى الأوس والخزرج بذكرهم حروب بعث، فكادوا أن يقتلوا ، و نادى كل فريق بالأوس ! يا للخزرج ، واخذوا السلاح فجاء النبي (صلى الله عليه وسلم) فدخل بينهم و قال : انتكون الجاهلية وأنا بين أظهركم ثم قرأ عليهم : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ } ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ۖ وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ^(٩)

(١) ينظر : في ظلال القرآن ، ١٥٤٨/٣

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣

(٣) ينظر :جامع البيان ، الطبري، ٣١/٤

(٤) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير ، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت : ٦٠٦ هـ) الناشر : دار احياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة : الثالث : ١٤٢٠ هـ / ١٧٨/٨ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ١٠١ .

(٦) تفسير القرآن العظيم : الحافظ ابن كثير ، ٣٨٧/١ .

(٧) الجامع لاحكام القرآن ، أبو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١ هـ) تحقيق : احمد البردوني و ابراهيم اطفيش ، الناشر : دار الكتب المصرية - القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٤ م .

(٨) فتح القدير ، ٣٦٧/١ .

(٩) سورة آل عمران ، الايتان : ١٠٠-١٠١ .

ثالثاً : الدخول في رحمة الله تعالى ونيل فضله وهدايته :

وهي ثمرات الاعتصام بالله كما يقول سبحانه : { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسُخِّلَ لَهُمْ فِي رَحْمَةِ مِّنْهُ وَفُضِّلَ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا }^(١) والمراد آمنوا بالله في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه واعتصموا به في أن يثبتهم على الإيمان ، ويصونهم عن نزغ الشيطان، ويدخلهم في رحمة منه وفضل، ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً فوعد الله المعتصمين به بأمور ثلاثة : الرحمة والفضل والهداية، قال ابن عباس رضي الله عنهما الرحمة الجنة، والفضل ما ينقص به عليهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً يريد ديناً مستقيماً^(٢) . ويتحدث سيد قطب عن علاقة التلازم والتوافق بين الإيمان والاعتصام فيقول: والاعتصام بالله ثمرة ملازمة للإيمان به، متى أصبح الإيمان ، ومتى عرفت النفس حقيقة الله، وعرفت حقيقة عبودية الكل له ، فلا يبقى أمامها إلا أن تعتصم بالله وحده، وهو صاحب السلطان والقدرة وحده ، فهؤلاء يدخلهم الله في رحمة منه وفضل رحمة في هذه الحياة الدنيا قبل الحياة الأخرى، وفضل في هذه العاجلة قبل الفضل في الآجلة فالإيمان هو الواحة الندية التي تجد فيها الروح الضلال من هاجرة الضلال في نيه الحيرة والتعلق والشروع كما انه هو القاعدة التي تقوم عليها حياة المجتمع ونظامه، فالذين آمنوا بالله واعتصموا به في رحمة من الله وفضل في حياتهم الحاضرة وفي حياتهم الآجلة وكلمة إليه في قوله : { وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا }^(٣) اذ ترسم المؤمنين ويد الله تنقل خطاهم في الطريق إلى الله على استقامة، وتقربهم إليه خطوة خطوة، وهي عبارة يجد مدلولها في نفسه من يؤمن بالله على بصيرة فيعتصم به على ثقة حيث يحس في كل لحظة انه يهتدي ، وتتضح امامه الطريق، ويقترب فعلاً من الله كأنما هو يخطو إليه في طريق مستقيم^(٤).

٣. ويلات الفرقة والاختلاف

نهى الله سبحانه وتعالى امة الاسلام عن الفرقة والاختلاف وحذر من الاكتواء بويلاتها مذكراً بما حصل للأمم السابقة من جراء فرقتهم ومحدراً من الويلات التي تنجم عن ذلك والتي من اخطرها :

أولاً : التشبه بالكافرين من ابناء الامم الماضية :

كما قال سبحانه {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَرَّوْا وَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }^(٥) و ينهى الله تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضية في افتراقهم واختلافهم وتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم^(٦) قال ابن عاشور في قوله تعالى: { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَرَّوْا وَخْتَلَفُوا }^(٧)

معطوف على قوله { وَلَتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ }^(٨) وفي هذا تمثيل لحال التفرق في ابشع صورته المعروفة لديهم عن مطالعة احوال اليهود وفيه اشارة إلى أن ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يقضي إلى التفرق والاختلاف إذ تكثر النزاعات والنزاعات وتتشقق الامة بذلك انشقاقاً شديداً وأريد بالذين تفرقوا واختلّفوا في أصول الدين من اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم من الدلائل المانعة من الاختلاف والافتراق ، وقدم الافتراق على الاختلاف للإيذان بان الاختلاف علة التفرق وهذا من المفادات الحاصلة من ترتيب الكلام و ذكر الاشياء مع مقارنتها وفيه اشارة بان الاختلاف المذموم هو الذي يؤدي إلى الافتراق، وهو الاختلاف في أصول الدين الذين يفرضي إلى تكفير بعض الامة بعضاً و تقسيقه دون الاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الامة في الاقطار والاعصار وهو المعبر عنه بالاجتهاد^(٩).

(١) سورة النساء ، الآية: ١٧٥

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب ، الرازي ، ١٢٢/١١

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٧٥

(٤) ينظر : في ظلال القرآن ، ٨٢٣/٢

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٠٥

(٦) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ٣٩٠/١

(٧) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٥

(٨) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٤

(٩) ينظر : التحرير و التنوير ، ٤٢/٤-٤٣

ثانياً : الفشل و ذهاب القوة

كما بين الله سبحانه وتعالى وهو ينهي عن الفرقة والتنازع والاختلاف تعالى إن ما لذلك كله هو فشل الامة وضعفها وهو انها على اعدائها وذلك في قوله: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} ^(١) . المعنى ولا تختلفوا فإن التنازع والاختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن ، وقوله تعالى : {وَيُحْكَمْ بِرَأْيِ قَوْمِكُمْ} يعني قوتكم ، فالناس يتنازعون حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وحين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الاراء والأفكار ، فإن استسلم الناس لله ورسوله انقضى السبب الأول الرئيس للنزاع مما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة - فليس الذي يثير النزاع بينهم هو اختلاف وجهات النظر ، انما الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصير عليها مهما تبين له وجه الحق، وانما هو وضع الذات في كفة والحق في كفة وترجيح كفة الحق ، عندئذ يزول التنازع ويتلاشى الخلاف ويحل الوفاق والوئام مكان النزاع والصدام فيبقى للدين هيئته والاسلام قدسيته وللوحدة مكانتها ^(٢) والنهي عن التنازع يقتضي الامر بالتفاهم والتشاور ومراجعته بعضهم بعضا حتى يصدر عن رأي واحد فان تنازعوا في شيء رجعوا الى امرائهم وردوا امرهم اليهم ولقد كان التنازع مقضيا الى الفشل لانه يثير التغاضب ويزيل التعاون من القوم ويحدث فيهم ان يترى بعضهم ببعض الدوائر ، فيحدث في نفوسهم الاشتغال بانقاء بعضهم بعضا وتوقع عدم الغاء النصير عند مأزق القتال فيصرف الامة عن التوجه الى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم ويصرف الجيش عن الاقدام على اعدائهم فيتمكن منهم العدو وكما قال سبحانه { حَتَّىٰ إِذَا فُتِنْتُمْ وَمِنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ } ^(٣) وهذا الفشل والضعف ادى الى تفكك الامة الاسلاميه وضعفها وهوانها اعدائها فاستجيب الديار فاستبيحت الديار وانتهت الاعراب وخدشت الكرامه ودنست المقدسات، وعزت النخوة وقل النصير ولا حول ولا قوة الا بالله.

ثالثا الدخول في دائره الشرك :

حيث يبين الله سبحانه ان الفرقة والاختلاف هي صفة من صفات المشركين وينهي و يحذر أبناء الامة من مغبة الوقوع في ذلك فيقول : { مَنِ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا ۚ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} ^(٤) فالله عز وجل هو الذي يصف المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا فالشرك الوان وانماط كثيرة منهم من يشركون الجن ، ومنهم من يشركون الملائكة ، ومنهم من يشركون الملوك والسلطين ، ولا تنتهي انماط الشرك واشكاله، وكل حزب منهم بما لديهم فرحون ، بينما الدين القيم واحد لا يتبدل ولا يفرق ولا يقود اهله الا الى الله الواحد.

٤ . المبحث الثاني : الامر بالاعتصام بكتاب الله تعالى و هدايته للناس

إن الاعتصام بكتاب الله تعالى تعظيمه، وإجلاله، وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، بل على الدوام عند الاقتدار والسعة، ان لم يكن بالتلاوة والتدبر فبالعمل والحياة، وحفظه في الصدور وتعظيمه في السطور، والعمل بهداه والرقية والاستشفاء به واتخاذة قائدا للهدى والنور.

٤.١ . المطلب الأول : الامر بالاعتصام بكتاب الله تعالى

قال تعالى :

{وَأَعِصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَذَكِّرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } ^(٥)

أولاً : تحليل الكلمات

{ وَأَعِصِمُوا }

عصم : العين والصاد والميم اصل واحد صحيح يدل على امساك ومنع وملزمة والمعنى في ذلك معنى واحد ^(٦)، واعتصم بالله اي : امتنع بلطف عن المعصية ^(٧) ، واعتصموا بالله لجأوا اليه واستمسكوا به ^(٨).

^(١) سورة الانفال ، الآية : ٤٦ .

^(٢) ينظر : في ظلال القرآن ، ٣ / ١٥٢٨-١٥٢٩ .

^(٣) ينظر : في ظلال القرآن ، ٥ / ٢٧٦٨ .

^(٤) سورة الروم ، الآية : ٣٢

^(٥) سورة ال عمران ، الآية : ١٠٣

^(٦) مقاييس اللغة ، ابن فارس ٣٣١/٤ .

^(٧) مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ، ٤٣٧ .

^(٨) الفاظ القرآن الكريم ، الأستاذ عبدالسلام محمد هارون ، ١ / ٧٦٨ .

ثانياً : القضايا البلاغية

{واعتصموا بحبل الله} استعاره تصريحه^(١) شبه القرآن بالحبل ، واستعير اسم المشبه وهو الحبل للمشبه وهو القرآن ، بجامع النجاة في كل منهما^(٢)

ثالثاً : المعنى العام

{واعتصموا بحبل الله جميعاً} اي : تمسكوا بحبل الله هو العهد او الدين او القرآن او الاسلام ، (شفا حفرة) قاصده وهو القرب من النار اي : ليس وبينكم وبين الوقوع في النار الا ان تموتوا كفاراً فأنتذركم منها بالإيمان منها^(٣) حذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين من اطاعه الكافرين واغوائهم واطلالهم.

بعد ان اوبخ اهل الكتاب على كفرهم وصددهم عن سبيل الله وذلك من اجل تماسك الشخصية الاسلامية والحفاظ على تميزها واستقلالها ، بعد ان انحرف اهل الكتاب عن صراط الله المستقيم^(٤) {وَلَا تَقْرَؤْا} ، اي : لا تتفرقوا ايها المؤمنون ايها المؤمنون عن دين الله وعهده الذي عهد اليكم في كتابه ، من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعه رسول الله على طاعه رسوله صلى الله عليه واله وسلم قوسين والانتهاى الى امره^(٥) ، وهو التاكيد لمضمون اعتصموا جميعاً والتذكير بنعمة الله طريق من طريق مواعظ الرسل عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى حكاية عن هود {وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ} ^(٦) ، وهذا التذكير خاص بمن اسلم من المسلمين بعد ان كان في الجاهلية ، لان الاية خطاب للصحابه ولكن المنه به مستمره على سائر المسلمين والخطاب به للمؤمنين وهم يومئذ المهاجرين والانصار وافراد قليلون من يعظم قبائل القرية ، وكان جميعهم قبل الاسلام في عداوه وحروب ، ولقد حاولت حكماء وأولوا الراي التاليف بينهم واصلاح ذات بينهم بافانين الدعاية من خطابه وجاه وشعر فلم يصلوا الى ما بلغوا حتى الف الله سبحانه وتعالى بين قلوبهم بالاسلام فصاروا بذلك التاليف في منزله الاخوان^(٧)

قال تعالى : {وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا} ^(٨) . اي : انتم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم ، لان جهنم مشبه بالحفرة التي فيها النار فجعل استحقاقهم للنار لكفركم كالاشراف منها على النار والمصير منها الحاف الى حفرتها ، فبين الله تعالى انه انقذهم من هذه الحفرة وقد قربوا من الوقوع فيها^(٩) . وبعد هذا ذكرت الاية نعمه اخرى وهي نعمه التعليم والارشاد وايضاح الحقائق حتى تكمل عقولهم ويتبين ما فيه صلاحهم قال تعالى : {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ} ^(١٠) والبيان هنا بمعنى الايضاح والايات يجوز المراد به النعم ، ويجوز ان يراد بها آيات القرآن الكريم فانها غاية في الاوصاح عن المقاصد وابلاغ المعاني الى الازهان^(١١) .

وختمت الاية بذكر نعمه عظيمه الا وهي نعمه الهداية والارشاد ، { لتكونوا على رجاء الهداية او لتهتدوا به الى الصواب وما ينال به الثواب } ^(١٢) .

(١) الاستعارة التصريحية : وتنقسم الى عنادية و وفاقية فالعنادية هي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد ، و قد تكون تلميحية او تهكمية . والوفاقية هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لعدم التناقض جواهر البلاغة احمد بن ابراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢ هـ) ، ضبط وتحقيق وتوثيق يوسف الصميلي المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٦٨

(٢) الاستعارة التمثيلية وهي تركيب استعمل غير فيما وضع له العلاقة المشابهة مع قرنيه مانعه من اراده معناه الوضعي بحيث يكون كل المشبه والمشبه به هيئة من متعدد وذلك بان تشبيه احدى صورتين منتزعتين من امرين ، او أمور أخرى ثم تدخل المشبه بها مبالغة في التشبيه . المصدر السابق ، ٣٣٣

(٣) التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، د هبة بن مصطفى الزحيلي ، الناشر : دار الفكر المعاصر - دمشق - الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ ،

٢٥/٤

(٤) التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، ٢٦/٤ .

(٥) جامع البيان ، الطبري ، ٢٩٨/٧ .

(٦) سورة الأعراف ، الاية : ٦٩ .

(٧) ينظر : تفسير التحرير والتتوير ، ٣٣ / ٤ .

(٨) سورة ال عمران ، الاية : ١٠٣ .

(٩) ينظر : التفسير الكبير ، الرازي ، ٣٠٨/٨ .

(١٠) ينظر : تفسير التحرير والتتوير ، ابن عاشور ، ٣٦ / ٤ .

(١١) سورة ال عمران ، الاية : ١٠٣ .

(١٢) التفسير النسفي (مدارك التنزيل و حقائق التأويل) ، أبو البركات عبدالله بن احمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت : ٧١٠ هـ) حققه و خرج احاديثه :

يوسف علي بديوي راجعه و قدم له : محيي الدين الناشر : دار الكلم الطيب ، بيروت ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ٢٦١/١

رابعاً : ما يستفاد من النص

- ١- الاعتصام والتمسك بدين الله (عز وجل) وطاعته ، والالتفات حول احكام الله سبحانه وتعالى حلالها وحرامها واجتماع المسلمين على وحدة الهدف والغاية من اجل صون الحرمات والبلاد من عدوان المعتدين فانه لم يتوفر لامة مقومات تجمع بين شعوبها وافرادها مثلما توفر للامة الإسلامية .
- ٢- لا تفعلوا ما يكون عنها التقريب ويزول معه الاجتماع ولا تنفروا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلف اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضاً^(١)

٢.٤ المطلب الثاني : هداية الله للمعتصم

قال الله تعالى:

(وكيف تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُوا عَلَيْنَا آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)^(٢)

أولاً : سبب النزول

ورد في سبب نزول هذه الآيات أن شاسا بن قيس اليهودي وكان شيخاً قد غر في الجاهلية، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم من على نفر من اصحاب رسول الله من الأوس والخزرج في مجلس يتحدثون فيه فغاضه ومن رأى من جماعاتهم والفتهم وإصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة .. فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال : أعمد اليهم فأجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعثت وما كان فيه وأنشد بعض ما كانوا يقولوا فيه من الإشعار وكان يوم بعثت يوماً أقنعت في الأوس والخزرج وكان الظفر للأوس على الخزرج ففعل الشاب وتكلم وثار ثائرة الحيين وتناولوا حتى اصطفا للقتال فنزلت هذه الآيات فخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال : يا معشر المسلمين أئذعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام ، فقرأ عليهم هذه الآيات ، فلما سمعوا صوته أنصتوا ، فلما فرغ القوا السلاح ، وعانقوا بعضهم بعضاً ، ثم إنصرفوا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سامعين مطيعين^(٣) .

ثانياً : تحليل الكلمات

(هُدِيَ)

الهداية الدلالة والإرشاد يقال هدى فلاناً فلاناً : أي : ارشده ودله ، و هدى فلاناً فلاناً الطريق :أي:عرفه و بينه له، و اهتدى يهتدي و يهتدي، أي : استرشد أو طلب الهداية أو قام عليها فهو المهتد والهادي يعني الراشد إلى الخير^(٤) وقد ذكر المفسرون أن الذي جاء في القرآن الكريم على سبعة عشر وجهاً منها : الثبات والبيان والإرشاد ودين الإسلام والقرآن والتوحيد^(٥). وغير ذلك ، ومنه قوله تعالى : { عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ }^(٦)، والمعنى المراد في النص هو الإرشاد

ثالثاً: القضايا البلاغية

في قوله تعالى: {مَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ} ، فالاعتصام هنا استعارة للتمسك أي: من يتمسك فلا يخشى عليه من الضلال، وفي هذا إشارة إلى التمسك بكتاب الله ودينه لسانر المسلمين الذين لم يشهدوا حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)^(٧)

رابعاً: المعنى العام

جاءت هذه الآيات المباركات في النهي عن إطاعة أهل الكتاب، والاعتصام بالله تعالى وحده الله عمدة الهداية إلى الصراط المستقيم وعليه مدار السعادة الدنيوية والأخروية

إذا ما اعتصم المسلم بالله سبحانه وتعالى وبحبله المتين .

(١) التفسير النسفي ، مدارك التنزيل ، ٢٠٨/١

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٠١

(٣) ينظر : أسباب نزول القرآن لأبو الحسن احمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)، المحقق عاصم أبو الحسن الحمدان مدار الإصلاح - الدمام ط٢ (١٤١٢ هـ ١٩٩٢م)، ١١٦ - ١١٧ .

(٤) الفاظ القرآن الكريم ، عبد السلام محمد هارون، ١٦ أبريل ١٩٨٨، ١١٤٣

(٥) ينظر إصلاح الوجوه والنظائر الحسين بن محمد الدامغي، ٤٠٥-٤٠٦ .

(٦) سورة القصص، الآية : ٢٢

(٧) ينظر، التحرير والتتوير، أين عاشور، ٢٩/٤ .

مبيناً لهم بأن مثل هؤلاء لا ينبغي أن يطاعوا ، ولا أن يسمع لهم قول ، فهم دعاة الفتنة واملوا خطبها ثم أمر هم بعد ذلك بتقواه والتمسك بحبله المتين، ثم يتذكر نعمة اليه وفعل الإنسان أما عن رهبة وأما عن رغبة، والرهبة مقدمة على الرغبة^(١).

قال تعالى { وَكَفَيْتَ تَخَوُّرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }^(٢) أي: ومن أين يتطرق اليكم الكفر والحال أن القرآن تلى على لسان النبي (ﷺ) غصاً طرياً ، وبين أضرهمكم رسول الله (ﷺ) ينبهكم وبعضاً ويبين ما أنزل اليكم ، ولكم في سنته خير أسوة تغذي إيمانكم ، وتثير قلوبكم فلا ينبغي لمثلكم أن تلتفتوا إلى قولهم ، بل الواجب عليكم أن ترجعوا عند كل شبهة تسمعونها من هؤلاء اليهود إلى الرسول (ﷺ) حتى يكشف عنها ويزيل ما علق بقلوبكم منها^(٣).

فالهدف الذي يسعى الله هذا الفريق إذا هو تكفيرنا وردتنا ولعل واقع عصرنا هو التبصير الواضح لهذا المعنى إن استطاع الكثير من أهل الكتاب أن يصلوا إلى أحد القاعة أبناء المسلمين من خلال أحزاب أو مؤسسات، فكان من آثار ذلك هذه الردة الكبيرة التي نراها لهذا يعجب الله سبحانه وتعالى من أن تكفر وقد اجتمع لنا ما لا يحصل معه الكفر وهو هذا الكتاب المعجز وهذا الرسول (ﷺ) التي تضافرت المعجزات الخصائص والبشائر والآثار والثمرات على أنه رسول الله حقا لم يبين أن الهداية إلى الصراط المستقيم مراراً على الاعتصام بالله ، والاعتصام بالله يقضي اعتصاماً بكتابه ورسوله، وهذا الاعتصام هو العمدة في الهداية، والعدة في مباحة الغواية والوسيلة إلى الرشاد وطريق السداد وحصول المراد^(٤). وبعد أن عشنا هذه الجولة القرآنية يتضح لنا أن الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى والاحتفاء بحماه ، والاعتصام به هو عمدة الهداية إلى الصراط المستقيم.

خامساً: ما يستفاد من النص

- ١- أن الاعتصام بالله عز وجل والتمسك بأسبابه هو الطريق الموصل الى جنات النعيم.
- ٢- الاعتصام والتمسك بالقرآن بدين الله تعالى وطاعته ، والالتفاف الموحد حول أحكام الله حلالها وحرامها ، واجتماع المسلمين على وحدة الهدف والغاية من أجل صون
- الحرمان والبلا من عدوان المعتدين فإنه لم يتوفر لأمة مقومات تجمع بين شعوبها وأفرادها مثل ما توفر لأمة الإسلام.
- ٣- الحفاظ على الشخصية الإسلامية وتميزها ، ورفض تبعيتها لغير المسلمين، والتحذير من الإصغاء لمشورتهم كيلا تؤدي الى الضرر والشر والفساد.
- ٤- تحكيم القرآن والسنة فيما قد يقع فيه المسلمون من نزاع أو اختلاف في الرأي، كما قال تعالى : { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ }^(٥).
- ٥- ليس الاختلاف مذموماً إذا كان في مجال مسائل الاجتهاد واستخراج الفرائض ودقائق معاني الشرع، وإنما الخلاف المذموم هو في إتباع الأهواء والأغراض المختلفة، وما يؤدي إليه من تقاطع وتدابير وتقاتل^(٦).

٥. الخاتمة

- الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، و الصلاة و السلام على خاتم النبوات و الرسالات و على آله و صحبه اجمعين ، اما بعد:
- فالحمد لله الذي اعانني على كتابة هذا البحث و يسر لي الوصول الى خاتمته ، فله الحمد في الأولى و الاخرة حمداً يليق بجلال وجهه و عظيم سلطانه ، و له الشكر في الأولى و الاخرة شكراً يوافي نعمه و ثناءً كما اثني على نفسه . خرجت بهذه النتائج لتلك الجولة العلمية المباركة و هي :
- ١- إن الاعتصام بالله سبحانه وتعالى والتمسك بكتابه العزيز هو سبب في الهداية والعصمة من الفتن و الاغواء .
 - ٢- إن الاعتصام والتمسك بدين الله سبحانه وتعالى وطاعته ، والالتفاف حول أحكام الله بوحدة الهدف و والغاية من أجل صون العباد والبلا .
 - ٣- إن الاعتصام بالله تعالى وبكتابه العزيز هو سفينة النجاة للمؤمنين والملاذ الأول والآخر للمسلمين فيجب عليهم جميعاً أن يتخلقوا بهذا الخلق العظيم لأنه زاد الطريق للسائرين الى الله رب العالمين .
 - ٤- الحفاظ على الشخصية الإسلامية وتميزها ورفض تبعيتها لغير المسلمين والتحذير من الإصغاء ولمشورة أهل الكتاب والتفكير العميق في ارائهم كي لا يؤدي ذلك إلى الضرر والفساد، او الفرقة والخلاف والانقسام وهذا يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله.
 - ٥- إن الأمة المجاهدة في سبيل الله تعالى لا تكون أمة ضعيفة تركز الى غيرها من الكفار والمنافقين بل

(١) ينظر تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي ، (ت ١٣٧١ هـ) شركة مكتبة، ط ١ ، (١٣٦٥ هـ) ، ١٥/٤ .

(٢) سورة ال عمران ، الآية : ١٠١ .

(٣) المصدر السابق ، ١٦/٤ .

(٤) التفسير المنير ، وهبه الزحيلي ٣٠-٢٩/٤ .

(٥) سورة الشورى، الآية: ١٠

(٦) ينظر : الأساس في التفسير ، سعيد حوى (ت ١٤٠٩ هـ) ، دار السلام للطباعة - القاهرة الطبعة السادسة ، ٨٤٢/٢ .

تعتصم بكتاب ربها سبحانه وتعالى ودينه وتتمسك بهدي نبيها محمد (وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم)).
و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خير المرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم)

Conflicts Of Interest

The author declares no conflict of interest in relation to the research presented in the paper.

Funding

No grant or sponsorship is mentioned in the paper, suggesting that the author received no financial assistance.

Acknowledgment

The author extends gratitude to the institution for fostering a collaborative atmosphere that enhanced the quality of this research.

References

- [1] The Holy Qur'an.
- [2] Asbab al-Nuzul (Reasons for Revelation), by Abu al-Hasan ibn Ahmad al-Wahidi al-Naysaburi (d. 478 AH), Dar Al-Islah – Dammam, 2nd Edition.
- [3] Al-Jami' li Ahkam al-Qur'an (The Compendium of Qur'anic Rulings), by Abu 'Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr ibn Farh al-Ansari al-Khazraji al-Qurtubi (d. 671 AH), Edited by Ahmad al-Barduni and Ibrahim Atfayesh, Dar al-Kutub al-Misriyyah – Cairo, 2nd Edition, 1384 AH / 1964 CE.
- [4] Al-Asas fi al-Tafsir (The Foundation of Tafsir), by Sa'id Hawwa (d. 1409 AH), Dar Al-Salam for Printing – Cairo, 6th Edition.
- [5] Jawahir al-Balagha (Gems of Eloquence), by Ahmad ibn Ibrahim ibn Mustafa al-Hashimi (d. 1362 AH).
- [6] Islah al-Wujuh wa al-Naza'ir fi al-Qur'an al-Karim, by Al-Husayn ibn Muhammad al-Damghi, Edited by 'Abd al-'Aziz Sayyid al-Ahl, Dar Al-Ilm Lil-Malayin – Beirut, 2nd Edition.
- [7] Tafsir al-Tahrir wa al-Tanwir (Interpretation of Liberation and Enlightenment), by Muhammad al-Tahir ibn 'Ashur (d. 1393 AH / 1984 CE).
- [8] Tafsir al-Qur'an al-'Azim, by Abu al-Fida Isma'il, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah – Beirut, 1st Edition (1419 AH).
- [9] Tafsir al-Maraghi, by Ahmad ibn Mustafa al-Maraghi (d. 1371 AH), Maktaba Company, 1st Edition (1365 CE).
- [10] Tafsir al-Munir fi al-'Aqidah wa al-Shari'ah wa al-Manhaj, by Dr. Wahbah Mustafa al-Zuhayli, Dar Al-Fikr – Damascus, 10th Edition (1430 AH / 2009 CE).
- [11] Al-Tawqif 'ala Muhimmat al-Ta'arif, by Zayn al-'Abidin Muhammad known as 'Abd al-Ra'uf ibn Taj al-'Arifin ibn 'Ali ibn Zayn al-'Abidin al-Haddadi al-Munawi (d. 1031 AH), 'Alam Al-Kutub, 'Abd al-Khaliq Tharwat – Cairo, 1st Edition (1410 AH / 1990 CE).
- [12] Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ay al-Qur'an (The Compendium of Interpretation), by Muhammad ibn Jarir al-Tabari (d. 310 AH), Al-Risalah Foundation, 1st Edition (1420 AH / 2000 CE).
- [13] Sahih al-Bukhari (Al-Jami' al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar), by Muhammad ibn Isma'il Abu 'Abdullah al-Bukhari al-Ju'fi, Edited by Muhammad Zuhayr ibn Nasir al-Nasir, Dar Tawq al-Najah, 1st Edition (1422 AH).
- [14] Alfaz al-Qur'an al-Karim (Words of the Noble Qur'an), by 'Abd al-Salam Muhammad Harun, April 16, 1988.
- [15] Fath al-Qadir, by Muhammad ibn 'Ali ibn Muhammad ibn 'Abdullah al-Shawkani al-Yamani (d. 1250 AH), Dar Ibn Kathir & Dar al-Kalim al-Tayyib – Damascus & Beirut, 1st Edition (1419 AH).
- [16] Fi Zilal al-Qur'an (In the Shade of the Qur'an), by Sayyid Qutb Ibrahim Husayn al-Sharabi (d. 1425 AH / 2004 CE), Dar al-Shuruq – Beirut and Cairo, 17th Edition.
- [17] Lisan al-'Arab, by Muhammad ibn Mukarram ibn Manzur (d. 711 AH), Dar al-Sadir – Beirut, 3rd Edition, no print year listed.
- [18] Modern Arabic Language, by Dr. Ahmad Mukhtar 'Umar (1429 AH / 2008 CE).
- [19] Mukhtar al-Sihah, by Muhammad ibn Abi Bakr ibn 'Abd al-Qadir al-Razi (d. 666 AH), Dar al-Risalah – Kuwait.
- [20] Madarik al-Tanzil, by 'Abdullah ibn Ahmad ibn Mahmoud al-Nasafi, Dar al-Kutub al-'Arabi – Beirut, Lebanon.
- [21] Madarij al-Salikin, by Ibn al-Qayyim – Abu 'Abdullah Muhammad ibn Abi Bakr Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Dar al-Kitab al-'Arabi, Year of Publication: 1416 AH / 1996 CE.
- [22] Mu'jam Maqayis al-Lughah (Lexicon of Language Measures), by Abu al-Hasan Ahmad ibn Faris (d. 395 AH), Edited by 'Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr (1399 AH / 1979 CE).

- [23] Mafatih al-Ghayb (The Keys to the Unseen), also known as Al-Tafsir al-Kabir, by Abu 'Abdullah Muhammad ibn 'Umar ibn al-Hasan ibn al-Husayn al-Taymi al-Razi, known as Fakhr al-Din al-Razi, Khatib al-Ray (d. 606 AH), Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi – Beirut.

المراجع

- [١] القرآن الكريم.
- [٢] أسباب نزول القرآن ، أبو الحسن بن احمد الواحدي النيسابوري ، (ت ٤٧٨هـ دار الإصلاح - الدمام ، الطبعة الثانية)
- [٣] الجامع لاحكام القرآن ، أبو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) تحقيق : احمد البردوني و ابراهيم اطفيش ، الناشر : دار الكتب المصرية - القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م .
- [٤] الأساس في التفسير ، سعيد حوى (ت ١٤٠٩هـ) ، دار السلام للطباعة - القاهرة الطبعة السادسة .
- [٥] جواهر البلاغة احمد بن ابراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢ هـ) .
- [٦] اصلاح الوجوه و النظائر في القرآن الكريم ، الحسين بن محمد الدامغي ، تحقق عبد العزيز سيد الاهل ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية .
- [٧] تفسير التحرير و التنوير محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ، (ت ١٣٩٣ هـ - ١٩٨٤ م) .
- [٨] تفسير القرآن العظيم ، ابي الفداء إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).
- [٩] تفسير المراغي ، احمد بن مصطفى المراغي ، (ت ١٣٧١ هـ) ، شركة مكتبة ، الطبعة الأولى (١٣٦٥م).
- [١٠] تفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، الأستاذ الدكتور وهبة مصطفى الزحيلي ، القدس دار الفكر - دمشق البرامكة ، الطبعة العاشرة (١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م) .
- [١١] التوقيف على مهمات التعاريف ، زين العابدين محمد المدعو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي (ت ١٠٣١هـ) عالم الكتب عبد الخالق ثروت - القاهرة ، الطبعة الأولى ، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م)
- [١٢] جامع البيان عن تأويل القرآن ، محمد بن برير الطبري ، (ت ٣١٠هـ) ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م) .
- [١٣] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه و سلم) و سنته و أيامه ، صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر : دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢ هـ .
- [١٤] الفاظ القرآن الكريم ، عبد السلام محمد هارون ، ١٦ أبريل ، ١٩٨٨ .
- [١٥] فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) ، الناشر : دار أبن كثير ، دار الكلم الطيب - دمشق ، بيروت ، الطبعة : الأولى ١٤١٩ .
- [١٦] في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ، (ت ١٤٢٥ - ٢٠٠٤م) ، دار الشروق - بيروت - القاهرة ، الطبعة : السابعة عشر .
- [١٧] لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، (ت ٧١١هـ) دار الصادر - بيروت ، الطبعة : الثالثة ، بلا سنة طبع
- [١٨] اللغة العربية المعاصرة الأستاذ الدكتور احمد مختار عمر (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) .
- [١٩] مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ، (ت ٦٦٦هـ) ، دار الرسالة ، الكويت .
- [٢٠] مدارك التنزيل ، عبدالله بن احمد بن محمود النسفي ، دار الكتب العربي ، بيروت ، لبنان .
- [٢١] مدارك السالكين ، ابن القيم - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية دار الكتاب العربي سنة النشر : ١٤١٦ / ١٩٩٦م.
- [٢٢] معجم مقاييس اللغة ، ابو الحسن احمد بن فارس ، (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، دار الفكر ، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)
- [٢٣] مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير ، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت : ٦٠٦هـ) ، الناشر : دار احياء التراث العربي - بيروت